

مدينة عيل بور: قاعدة للجهاد



هذا المقال ترجمة لمقال نشره أبو مريم باللغة الإنجليزية بعنوان " مدينة عيل بور: قاعدة للجهاد".

بعد سقوط سياد بري والحرب الأهلية اللاحقة، قامت إثيوبيا بتقييم مخاطر ومكاسب غزو الصومال وإمكانية نهب الموارد غير المحمية. في مارس 2014، غزت عيل بور (بلدة في وسط الصومال) لتخدم ما يسمى بـ "الحرب العالمية على الإرهاب" والتي منحتهم وصولاً غير مقيد وتفويضاً بالقتل تحت ستار الإرهاب. سارعت خدمة بي بي سي الصومالية إلى البث: "قوات الشباب تفقد قاعدة عيل بور الصومالية" كانت الحكومة الصومالية ومسؤولو أميصوم في حالة انتصار في ذلك الوقت، وتوقعوا نجاحاً أوسع في هزيمة الشباب.

في الواقع إثيوبيا تعرف الشباب، فقد اعترف ملس زيناوي، رئيس الوزراء الإثيوبي السابق المتوفى، بأنه قد استخف بتفاني وقدرة المجاهدين، في إشارة إلى حرب الشباب الإثيوبية التي استمرت حوالي ثلاث سنوات. لذلك، كان وصولهم إلى عيل بور مجرد تحدٍ من عدو مألوف، لكن الإزعاج كان يكمن في إعادة توطين الأخوات وكبار السن والأطفال على وجه الخصوص.

بعد أن شهدنا أحداثاً مماثلة، لم يكن تطور الوضع صدمة كبيرة لسكان عيل بور الذين أفرغوا المدينة؛ لقد هاجروا إلى أماكن لم تضمن لهم بالضرورة الحاجات الأساسية، لكنها وفرت لهم ملاذاً لعقيدتهم. استقروا في القرى التي تقع داخل الأراضي التقليدية لقبائلهم. أصبحت لاهيلاي مستوطنة مكتظة بالسكان للوافدين الجدد الذين امتدوا إلى أبعد الحدود؛ أعطت المساكن الجديدة والمساكن القديمة البسيطة المدينة مظهراً ملوئاً. كانت الحياة تتقدم ببطء في لاهيلاي، فعلى الرغم

من كونها قرية صغيرة، إلا أنها لعبت دوراً كبيراً في إمداد السكان بالإثارة والمدارس وما إلى ذلك، لكنها لم تستطع تعويض الشوق إلى عيل بور.

على الرغم من أن الأولوية كانت الحفاظ على الدين، إلا أن إحساسهم باليقظة واللياقة كانا دروساً مكتسبة من الصراعات القبلية المدمرة، مما منحهم السرعة لإعادة تموضعهم في مكان آمن. تعتبر الاشتباكات القبلية جزءاً من حياة البدو الرحل، ومثل البركان، يمكن أن تندلع في أي وقت قد تتحول إلى حرب شاملة. يمكن أن يحدث ذلك بسبب الجدل حول بئر الماء أو على المراعي، وعلى الرغم من ذلك، يحافظ السكان المحليون على نمط حياة منتظم. الموت لا يخيفهم. في الواقع، لقد سعوا وراء ذلك عندما يُساء معاملة أحد أفراد القبيلة، والغريب أن العرف القبلي نفسه -الذي يشجع على إراقة الدماء بشأن الأمور التافهة- يتطلب أيضاً -بلباقة المصالحة لاتفاق زعماء القبائل في العام الذي مضى- نسيان ضغائن المذابح الماضية وسيادة السلام بما يكفي لإلقاء الأسلحة حتى اشتعال الشعلة التالية.

قضت الشريعة الإسلامية على نظام الطبقات القبلية من خلال استبدالها بالمساواة، وبالتالي تمت معالجة الخلافات القبلية بآيات قرآنية. تضاعف العنف وانتشر الشعور بالأخوة في جميع أنحاء المجتمعات التي كانت ذات يوم موضع غارات لا نهاية لها. في الإسلام، الدفاع عن النفس مسموح به بشكل مبرر بافتراض استيفاء جميع الشروط المسبقة ولكن المفهوم هو إعادة جميع المضالم إلى المحكمة الشرعية لتجنب الانتقام المندفع الذي يخدم دوافع ذاتية فقط. كان الانتقال مفاجئاً وبسيطاً، والخطة ليست تعكير صفو الحياة القبلية التقليدية ولكن ببساطة التخلص من المفاهيم التي لا تتماشى بالضرورة مع الإسلام. بعد أن استوعبوا روح الشريعة، تعهدوا بدراستها والدفاع عنها، وما كان مجرد محاولة لإحباط عدوان لا داعي له تحول إلى قاعدة للجهاد. لقد فهموا عميقاً الولاء والبراء

يقينا، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

كان الإثيوبيون قد استقروا في مخابئ عميقة محاطة بجدران بأكياس الرمل في الوسط وحول المدينة لحماية أنفسهم من أي هجوم قادم، وخلال إقامتهم في عيل بور، كان هناك الكثير من ذلك. كانت المدينة فارغة تمامًا باستثناء صفيير رياح أحاطت بالمنازل غير المأهولة. على الرغم من أن الإثيوبيين كانوا خائفين من السكان المحليين، إلا أنهم كانوا بحاجة إليهم لإجبارهم على التراجع.

انسحبت القوات الإثيوبية في 3 أبريل / نيسان 2017 خالية الوفاض من مدينة عيل بور متجهة نحو قريع. وقال عمدة عيل بور السابق جوتالي: "لم تتحقق رؤية الغرب للديمقراطية، على الأقل في عيل بور". لا يعني ذلك أن أهل عيل بور يعارضون التطورات الصحية ولكن يجب أن تكون جميع الإصلاحات في سياق ثقافتهم ودينهم، وليس عن طريق القوة العسكرية.

كان هناك ابتهاج وهتافات مع انتشار الخبر. ملأت أصوات إطلاق النار الهواء، والأهازيج، واستيقظ القرويون في فرحة لإحياء ذكرى عودة المدينة المفقودة. ردد المشهد الفرحة والحرية والتحدى للقمع. بحمد الله سبحانه وتعالى، لم يكن حب الراية السوداء مخفياً أو ضعيفاً بين الأنصار بينما كنا نسير في جميع أنحاء المدينة. فالأنصار معروفون ببطولتهم وكرم ضيافتهم وإكرامهم لإخوانهم المجاهدين، وهم حقاً حاملو راية الأمة.

كانت عيل بور آنذاك مدينة أشباح. كانت جميع المنازل تقريباً بحاجة إلى صيانة، كما أن الفضلات والأشجار الشائكة القصيرة كانت مزدحمة للغاية بجميع الممرات، والمخيف أن أثاث الأسر وجميع أدوات المطبخ تقريباً كانت مفقودة من كل منزل يُفترض أن الإثيوبيين نهبوه. كانت بقايا وجودهم في كل مكان. لقد تناثرت

زجاجات الخمر، والملاحي المؤقتة المنهارة، والعلب الفارغة في المخابئ، مما يشير بوضوح إلى المهمة الشاقة التي كان السكان المحليون يواجهونها في تنظيف المدينة.

لقد قمت مؤخراً بزيارة عيل بور، وفقدت فور وصولي شبح الماضي غير السار. البلدة ملونة، التصميم الهيكلي بالكاد يشبه تصميم عام 2017، ولم يبق على حاله سوى الراية السوداء. كان الاقتصاد المحلي في حالة انخفاض طفيف بسبب الجفاف ولكن في السوق، كان العرض والطلب في حالة توازن بشكل معقول. البازار الرئيسي مليء بالمتاجر الصغيرة التي تعرض ملابس متعددة الألوان للبيع، حيث تتجول النساء المحجبات لتقييم البضائع قبل تحديد الصفقة النهائية للشراء. كان الباعة المتجولون يشيرون ببضائعهم بعبارات جذابة يأملون في التوصل إلى صفقة بيع، وجلس الصرافون تحت الظل ينادون المارة، وعربات الحمير المحملة بالبضائع تتقاسم الشوارع مع المتسوقين الذين كانوا يتحركون في جميع الاتجاهات. كان هناك صدى دائم "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" تحت ضجيج السوق، وحركات الناس لا توحى بالعجلة. على الرغم من أنك تزور السوق عدة مرات، إلا أن هناك فضولاً آسراً يضغط عليك للتجول، والاستفسار عن مادة مألوفة دون نية شرائها.

تساءلت عن مصدر قدرتهم على التحمل، وإحساسهم برباطة الجأش الذي أعطاهم اتجاهًا واضحًا، وعزمهم الذي لا يتأثر بسهولة بإخفاء مفاجأة الحياة المتواترة. في المقهى، كانت الموضوعات السائدة تدور حول الجفاف، والأمل في هطول الأمطار، وموت الحيوانات بسبب نقص المراعي، والمثير للدهشة أن الغزو الإثيوبي لم يُذكر أبدًا. ولا حتى آثار العواطف التي أشارت إلى الحدث. في المسجد، يتلاقى رجال من مختلف الأنساب القبلية لأداء صلاة الجماعة الذين عزموا مؤخرًا على الانتقام، ووقفوا كتفًا كتف في صف واحد خلف إمام في هدوء، باحثين عن الوحدة تحت ظل الشريعة.

الهدف من العقيدة الإسلامية هو نقل البشرية إلى وجود روعي أعلى من خلال مبادئ توجيهية تتوافق مع التصميم الفكري والبيولوجي، ولا تلبى معاييرها ولا تقيد الرغبات الدنيوية مثل الجشع والشهوة وما إلى ذلك إلا بالتقوى، فهي تتلادشى في النفس، وتغلب الجناة في أدنى مستوى. وبالمثل، فإن إحياءها بشكل خطير يحتاج إلى شريان الحياة. ويتنامى الشوق إلى الأخوة بين المسلمين على نطاق واسع تحت الراية السوداء ويتألق في الصومال. يواجه المجرمون الذين يحاربون الله تعالى، والنبى صلى الله عليه وسلم، والمؤمنون مصيرا رهيبا، ﴿... وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ لقد هرب الإثيوبيون من عيل بور ساخطين.

أبو مريم

